أبو تمام الطائي (١٨٨-٢٣١هـ)

أسمه وكنيته:

هو أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس، وتمام أبنه، ولد بقرية (جاســـم) على يمين الطريق الممتد بين دمشق وطبرية، الخلاف في نسبه كبير، ذكر أبو فرج الاصبهاني أنه من قبيلة طيء صليبة، وقيل إن أباه كان نصرانياً، والصحيح أنه عربي من طيء، وإن كانت جذوره نصرانية.

سيرته:

نشـأ أبو تمام في دمشـق، عمل في حانوت للحياكة، تردد على حلقات الدرس، أفاد من الفلسـفة اليونانية، تنّقل كثيراً في سبيل العلم، رحل إلى حمص، أفاد من الشاعرين عتبة بن عبدالكريم الطائي وعبد السـلام بن رغبان المعروف بديك الجن، شـدَّ رحالة إلى مصـر، وبدأ بمدح صـاحب الشـرطة عباش بن لهيعة الحضرمي، إذ يقول:

وما أقطار البلاد أضافني ـــــ إليكَ ولكن مذهبي فيك مذهبي
وأنت بمصر غايت وقرابتي ـــــ بها وبنو الآباء فيها بنو أبي

عاد الى موطنه دمشـــق، أطلع في رحلته على علوم كثيرة، أحب أبو تمام الســـفر، إرتحل الى الموصل ومنها إلى ارمينية، ثم رجع الى بغداد، ووجد خطوة عند المعتصم، ثم قصد خراسان، ثم همدان ثم رجع الى بغداد، وسجّل في قصديته وقائع معركة فتح عمورية بعد نداء الهاشمية الأسيرة وأمعتصماه .. وتعد من عيون الشعر العربي ومطلعها.

السيف أصدق أنباءً من الكتبِ ـــــ في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللعبِ

قويت علاقته بالخلفاء والوزراء والكتاب، وفي أوائل (٢٢٩هـ) عين على بريد الموصل، فاجأه الموت سنة ٢٣١هـ.

صفاته:

أبو تمام شخصية مرموقة تميز بالظرف، وحسن الاخلاق وكرم النفس، وتميز بالذكاء الحاد وحضور البديهية، سريع الإجابة والاقناع يحب السفر والتجول دون ملل. وكان كريماً سخياً كثير النظر في الكتب والحفظ.

شعره:

برع في موضوعات الشعر عامة، الاّ الهجاء، ويشكل المديح والرثاء أكثر من ثلثي الديوان وأشتهر بهما حتى قيل عنه "أبو تمام مدّاحة نوّاحة".

المديح:

حَبَّ جلَّ طاقته الشعرية في المديح، لأنه الموضوع الذي يمتحن به الشاعر ثم يجاز عليه، ومن ذلك قوله في مدح أبي دُلف القاسم بن يحيى العجلي:

إذا إفتحرت يوماً تميم بقوسها	**وازدت على ما وطّدت من مناقب**
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم	**عروش الذي استرهنوا قوس صاحبِ**

تميز مديح أبي تمام بمميزات عدة:

١. كان يعرف يؤثر على الممدوحين وينفذ إلى قلوبهم.
٢. مقدرته العالية في اختيار اللفظ.
٣. عني عناية فائقة بمقدمة قصيدته المدحية، فوصف همومه والآمه، وبثَّ فيها حكماً وتأملات.
٤. يحكم الربط بين المقدمة وموضوع القصيدة الأساس (المدح).
٥. يرفع من شأن الممدوح، ويُظهر محاسنه.
٦. يطيل في الاستهلال قبل التحول إلى المدح.

ومن ذلك وصفه للطبيعة في مقدمة قصيدته التي مدح فيها المعتصم، وقال فيها:

رَقَّت طواشي الدهر في تمرمر	وغدا الثرى في حَلْيه يتكسر

١. **الرثاء:** تميز بالرثاء، قال أبن رشيق: "هو من المعدودين في إجادة الرثاء"، وقال الآمدي: "هو أشعر الناس في المراثي"، ومن ذلك قصيدته الرائبة في رثاء الفائد محمد بن حُميد الطائي ومقدمتها:

كذا فليجلّ الخطبُ وليفدح الأمر	فليس لعين لم يفض ماؤها عذر
وما مات حتى مات مضرب سيفه	من الضربِ واعتلت عليه القنا السمرُ

٢. **العتاب:** له شعر رقيق في العتاب، مثل قوله يخاطب أبا دلف:

أبا دلف لم يبقَ طالب حاجة	من الناس غيري والمحل جديب

٣. **الهجاء:** لغته في الهجاء باردة لا جمال فيها ومن ذلك قوله في هجاء عبدالله بن يزيد الكاتب:

ما أنت الا المثل السائر	يعرفه الجاهل والخابر
فاكهة ضَيّع بستانها	فإنتاجها الوارد والصادر

٤. **الغزل:** له غزل في مطالع قصائده المدحية او مقطوعات مستقلة، مثل قوله:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى	ما الحب الاّ للحبيب الأول
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى	وحنينه أبداً لأوّل منزلِ

٥. **الحكمة:** له ابيات شعرية جرت مجرى الأمثال والحكم، ومن ذلك قوله:

إذا أراد الله شر فضيلة	طويت أتاح لها لسان حسود
او لا اشتعال النار فيما جاورت	ما كان يعرف طيب عرف العودِ

خصائص شعره:

١. استخلص أبو تمام ما استوعب من علوم عصره، ووظفها في شعره توظيفاً اختلف الدارسون والنقاد فيه.

٢. أبرز ما أخذ على شعره الصنعة البديعية والمعنوية.

٣. الاختراع والاغراب، والتعمد في اختيار الألفاظ المبهمة والصعبة.

٤. صار اجاماً متبوعاً، لعمد إلى الاستعانة بالبديع، لاسيما الجناس والطباق والمقابلة، سبقه في ذلك مسلم بن الوليد، ثم تبعه أبو تمام، ووفاقه واربى عليه، حتى قيل "هذا مذهب أبي تمام"، ومن ذلك قوله:

لا تسقني ماء الملام فإنني	حبُّ قد استعذبت ماء بكائي

٥. تعمد الأفكار الغريبة، والتعمق فيها، ومن ذلك قوله:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى	فالسيل حرب للمكان العالي

٦. التعقيد اللفظي، والميل إلى الغريب من المعاني.

٧. تميز بأقوى الشعر وأجزله، وان اختلف فيه الدارسون.